«كشف الحجاب عن خفايا رابطة الكتاب» لمحمد المشايخ:

كاتب يكشف بعض اسرار الأدباء الأردنيين عبر ثلاثين عاما من عمله سكرتيرا لرابطتهم..!

عمان ـ «القدس العربي»
ـ من يحيى القيسي:

كتاب جديد أصدره الكاتب والباحث الأردني محمد المشايخ عن دار نارة للنشر والتوزيع في عمان بعنوان «كشف الحجاب عن أسرار رابطة الكتاب» وفيه يكشف عن بعض تفاصيل عمله وطرائف الأدباء، وأحوالهم خلال الفترة التي عمل فيها سكرتيرا لرابطة الكتاب الأردنيين والتي تمتد نحو ثلاثين عاما (1978ـ 2006)، وقد قدم للكتاب الناقد والأكاديمي المعروف د. خالد الكركي حيث كان رئيسا للرابطة قبل إغلاقها رسميا من الحكومة عام 1987 ثم إعادتها من جديد خلال عام 1989 في اليوم التالي لتسلم د. الكركي وزارة الثقافة، ويشتمل الكتاب إضافة إلى ذكريات المشايخ مع الكتاب وهمومهم على ملحقين الأول لأسماء أعضاء الهيئات الإدارية التي تعاقبت على الرابطة منذ تأسيسها إلى اليوم، والثاني كشف بأسماء جميع أعضاء رابطة الكتاب الأردنيين وعناوينهم، ولا سيما أن عددهم قد وصل إلى 581 عضوا حتى شهرفبراير الماضي.

يقول د. الكركي في مقدمته «في الكتاب تفصيل وإحصاء دقيق، ولكن هذا كله خفيف على القارىء لأن الروح العذبة لمحمد المشايخ لا تفارق سطوره، وإذا كانت وظيفته «سكرتير الكتاب» فقد كان أيضا صديق الفقراء منهم، وحافظ أسرارهم، وجريئا على كشف خفايا عملهم النقابي، وإن ظل حذرا وهو يقارب الجانب السياسي للاحزاب والتنظيمات التي ظلت على مدى عقود ثلاثة تشكل حركة الحياة السياسية والثقافية داخل الرابطة وخارجها، وما قصة إغلاق الرابطة وعودتها إلا بعض هذا الحراك السياسي الذي وقع فيه الصدام مرّ بين أهل السلطة وأهل الثقافة، وليس غريبا أن يقع هذا، لأن الخنادق متضادة، والحرية لا تلتقي مع الاستبداد في خندق واحد، وفي بلد واحد بل قد يقع اللقاء في السجون فقط بين دعاة الحرية وسوط الاستبداد ويتابع الكركي قوله مخاطبا المشايخ:

«فقد قرأت كتابك هذا» والوزن مختلف والزمان غريب، وقد طلعت علينا من وراء الصمت بأصواتنا، وقلت لنا إننا كنا جميعا «تحت المراقبة» ولكن منك أنت، فهل تنشر المخبوء الذي ظل في ثنايا الذاكرة والروح لا ترحم أحدا منا؟ إن فعلت فلن ينوح علينا أحد، وقد ترى دمنا مسفوحا على عتبات مقر الرابطة في الجبل اللويبدة، أو على صفحات «أوراق» مجلة الرابطة، أو في كفي سيدة «ذكي رائحة الرياض كلامها» وهي تندب الأعزاء الراحلين أو في عيون الحاقدين على الرابطة وبعضهم كالموت «ألا يرثي لباك» وظل في الذاكرة سنوات سبقت بدايات عملك في الرابطة تحتاج إلى كتابة مثل هذه، وسنوات جديدة على عتبة قرن مضى وآخر حضر تحتاج إلى نظرة مختلفة فهل يسعى كتابنا إلى سد الفجوات في الذاكرة الوطنية العامة».

الكتاب الذي جاء على شكل حكايات وذكريات وطرائف من وحي ما لاقاه أو شاهده أو سمع عنه المشايخ طيلة فترةعمله (انتقل مؤخرا مديرا لمكتب البابطين في عمان) يبتدئ بعنوان فرعي «الطريق إلى الرابطة» وكيف أصبح سكرتيرا لها حينما أعلمه الأديب خليل السواحري أمين الشؤون الخارجية في رابطة الكتاب الأردنيين في مطلع كانون الأول 1978 آنذاك أن الشاعر أمجد ناصر الذي كان يعمل سكرتيرا تنفيذيا للرابطة خلفا للأستاذين ميشيل النمري وحسين حسنين قد غادرالمملكة والتحق بالمقاومة الفلسطينية في بيروت، وأن الرابطة بحاجة إلى سكرتير تنفيذي مسائي ,ويشير المشايخ بأنه كان قد تخرج حديثا من قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية وأن العمل كان يناسبه إضافة إلى عمله الصباحي في دائرة شؤون الأرض المحتلة، ويصف المشايخ يومه الأول فيها حيث عثرعلى مقرها بصعوبة نتيجةحيائه الشديد «كنت أعزب وخجولا جدا» وكان الأديب سالم النحاس نائب رئيس الرابطة قد طلب منه أن يتوجه إلى عمله ويقف على باب الرابطة ويسأل عن هويات الأعضاء لأنها الفرصة الأمثل ليتعرف عليهم «كان آذن الرابطة أبو عطا قد فتح المقر وحسب التعليمات وقفت عند بابه، وما هي إلا لحظات حتى رأيت شابا أبيض الشعر، طويله يحمل حقيبة جلدية بنية مملوءة بالكتب يتجه نحوي، وما أن وصل حتى قلت له هوتيك لو سمحت «فاندهش واستفز، وقال لي: من حضرتك؟ فقلت له: الموظف الجديد في الرابطة»، فقال: ومن أمرك بطلب هويتي؟ فقلت له: بل بطلب هويات جميع الأعضاء إنه نائب رئيس الرابطة الأستاذ سالم النحاس «(بل رئيس الرابطة الفعلي في ذلك اليوم لأن رئيسها الأستاذ محمد أديب العامري كان قد غادر المملكة في مهمة تتعلق بالرابطة في تشيكوسلوفاكيا» فرفض إبراز هويته وقال لي «قل للنحاس أن الشاعر محمد القيسي يرفض طلبك» وقدرت من طلبه أن خلافات نقابية واسعة كانت واقعة بينهما، وما أن دخل القيسي حتى جاءت صبية جميلة قصيرة الشعر ترتدي الأخضر الفاتح وبخجل شديد وواضح طلبت هوية عضويتها فقالت لي بأدب جم «أنا محامية اسمي أسمى دعيبس ولست عضوا في الرابطة بل ضيفة عليها». و الآن بعد هذه السنوات الطويلة من تلك الحادثة التي يرويها المشايخ رحل العامري والقيسي إلى رحمة الله، وطالت غربة أمجد ناصر، وأصبحت المحامية أسمى وزيرة للثقافة، فيما يقبع الأديب والنقابي النشيط سالم النحاس في بيته مريضا ، إضافة إلى أن المشايخ نفسه ترك العمل في الرابطة.

كتاب طفارى وباعة أسكيمو

يقول المشايخ في كتابه شارحا الأوضاع الصعبة لأعضاء الرابطة «انعكس الوضع السيء للكتاب على انتاجهم فتراجعوا عن نشر الكتب على حسابهم الخاص وتوقفوا عن إصدار المجلات الثقافية، وما أكثر ما يكتبون تحت سطوة الأمر الواقع... وكثيرون تأخروا في الزواج وإن سارعوا في متطلباته فإنهم كثيرا ما فاوضوا الزوجة وأهلها لتخفيض النفقات، وقد بلغ بأحدهم أن كتب على غلاف كتابه عبارة «الكاتب خاطب حديثا» وضمن التوجه نفسه كتب آخر على غلاف كتابه أنه روى أرض فلسطين بدمه الطهور، رغم أنه لم يجرح طيلة حياته لا في ساحات النزال ولا في غيرها، وأعرف كثيرا من الكتاب سبق لهم أن عملوا باعة للأسكيمو والبوظة والترمس والبليلة في طفولتهم وشغلوا وظائف أكثر مشقة في كبرهم، بل إن أحدهم عمل حمالا وهو الآن من أبرز الكتاب». ويتابع المشايخ وصف حال الكتاب الأردنيين بقوله «لقد حارت الألباب في كيفية توظيف الكتاب فعدا عن العاطلين عن العمل ثمة عدد من الكتاب الذين يعملون في وظائف لا يقع تخصصهم في مجالها، كانت الأنظار تتجه في الثمانينيات نحو المسرحي والسيناريست جبريل الشيخ الذي كان يعمل حجارا، ونحو كاتب دراسات فكرية يعمل ذباحا للدجاج، ونحو آخرين عملوا في الباله (الملابس المستعملة) وبيع الخضار والفواكه باستثناء الشاعر (ر.أ. ز) الذي يعمل كوّاء، والروائي (ع.ع) الذي يعمل في سوبرماركت». ويروي المشايخ في فصل آخر أن الشاعر محمد القيسي كان لديه محل بيع أحذية سماه «أحذية رامبو»، ويروي المشايخ أيضا عن جمعية إسكان الكتاب والحلم الذي تبخر بعد حلها إذ اختلف الأعضاء فيما بينهم عدا عن أن الأرض لم تكن صالح للبناء وقربها مواقع كريهة الرائحة، ومما يرويه المشايخ في كتابه عن طرائف الكتاب التي شهدها بنفسه «كاتب شاب طلب مني أن أرشحه لجائزة عرار الأدبية فقلت له تواضع أينك من هذه الجائزة؟ فقال لي: أنا أصلا مجهز نفسي لأرشحها لجائزة نوبل...، قلت له: آسف ظننتك غلبانا مثلي» وطلب أحد الفنانين إقامة ندوة في مقر الرابطة لمناقشة أحد أعماله الدرامية ووعد بتقديم الكتافة للحضور، ولما سألته بعد أن فرغ من ندوته عن سبب عدم إحضاره الكتافة قال: هذا جمهور لا يستحق الهريسة فكيف أحضر له الكتافة.. ويخصص المشايخ بعض طرائفه لعلاقات الكتاب النسائية، وكيف يتهافتون لمجرد سماع صوت أنثوي أحيانا، وبعضهم يبالغ بالإيحاء والتغرير بالفتيات المستجدات في الثقافة أو العاشقات للأدب لغرض في نفسه» ثمة أدباء غلابى كادحون ومستضعفون ترى في ملامحهم إن أبصرتهم بعض ما تعرضه شاشات التلفزة من أفراد منكوبين لا يجدون الغذاء ولا الماء ولا الدواء، حين تجلس مع أحدهم تجده يمتشق عنان الخيال ليحدثك عن المليونيرات الجميلات الفاتنات المتعلقات به واللواتي يضعن كل ثرواتهن تحت قدميه فيما لو وافق على الزواج من إحداهن ولكنه لله دره، يرفض بشدة الزواج القائم على التبادل بين العلاقات العاطفية والصفقات الاقتصادية»!.ويتابع طرائف الكتاب مع زوجاتهم بالقول «حين رأى أحد الشعراء امرأة قادمة من بعيد، وهي ترتدي زيا جميلا توقف ينتظروصولها بغية مغازلتها، ولما وصلت اكتشف أنها زوجته فقالت له: ولله لو كنت عرفتني لما انتظرتني في الشارع كل هذا الوقت..!

ومن الأقوال المشهورة للأديب محمد سعيد مضية: إذا رأيت سيارة تسير على مهل وبطء وبها رجل وامرأة فاعلم أنهما مخطوبان، وإن رأيت السيارة مسرعة فاعلم أنهما متزوجان، وأن الزوج يضغط دواسة البنزين كي يتخلص من هذه النقلة!».

أدب المخلوطة ولعب الشطرنج

في فصل جديد من الكتاب يحدثنا المشايخ قائلا «حين أحالت الهيئة الإدارية مجموعة من المخطوطات للمطبعة لم توصها بأي الكتب تبدأ، فحمل أحد المؤلفين، وكان يملك محمصا للتسالي المشكلة كيلو «مخلوطة» وسلمه لعامل في المطبعة فكان كتابه في مقدمة الكتب الصادرة ولما علم بذلك الكاتب عدنان علي خالد قال: هذا الكتاب ينتمي إلى أدب المخلوطة». ويروي المشايخ في فصل آخر أن الراحل عدنان علي خالد كان حلاقا واشتهر محله في مدينة الزرقاء القريبة من العاصمة بتردد الأدباء عليه سواء للنقاشات الأدبية أو لقص شعورهم ومنهم: أمجد ناصر، فخري قعوار، يوسف ضمرة، عبدالله رضوان، مأمون حسن، أحمد المصلح، الياس جريس، جميل أبو صبيح، حمودة زلوم، عاهد شاكر، معن البياري وغيرهم.ونظرا لضمان عدم تسرب اعضاء الرابطة إلى المقاهي للعب الورق والشطرنج وحجر النرد فقد تم تزويدها بهذه الألعاب و كانت تتعالى صيحات المنتصرين على الندوات الأدبية التي تقام حتى تم التخلص منها منذ سنوات قريبة.

والمشايخ في كتابه هذا يبدو كما أشار د. الكركي متهيبا بعض الشيء من كتابة كل ما يعرف سواء عن أحوال الكتاب أو طرائفهم أو مصائبهم أيضا وأمزجتهم المزعجة وتقلبات طقسهم، وربما يأتي كتاب آخر يكشف فيه الرجل عن الصراعات السياسية التي حكمت عمل الرابطة لفترة طويلة ولا سيما فيما يتعلق بالانتخابات وكيفية الدخول في لعبتها التي ترفع من تشاء وتخسر من تشاء، إضافة إلى العضوية التي تسرطنت وأصبحت بفضلها الرابطة عجوزا في الثلاثين من عمرها.

قصة الرابطة وإغلاقها

يخصص المشايخ صفحات عديدة للحديث عن الرابطة منذ تأسيسها وما واجهته من مصاعب من قبل الدولة، ولا سيما في عهد حكومة زيد الرفاعي في العام 1987 حينما تم إغلاقها ومصادرة ممتلكاتها وأنشاء اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين بديلا عنها، وذلك بحجة انها موئل للمعارضة السياسية وللحزبيين أكثر مما هي للأدباء وللعمل الثقافي، ولكن هذا الإغلاق الذي دام نحو سنتين جوبه من قبل المثقفين، والنقابات المهنية، وتضامن ضده اتحاد الكتاب العرب وبعض الاتحادات العالمية، وفي النهاية تم فتح الرابطة من جديد، ولكن اتحاد الكتاب ما يزال قائما إلى اليوم، ويظل مدار نقاشات ساخنة بين المثقفين الأردنيين ما بين مؤيد له أو من يدعو لحله، ولكن المسألة الأساسية أن الرابطة هي الإطار الشرعي للأدباء الأردنيين والمعترف بها من قبل اتحاد الكتاب العرب، ومما يجدر ذكره هنا مما ورد في كتاب المشايخ أن الرابطة مؤسسة ثقافية شعبية تتمتع بشخصية اعتبارية مستقلة ولها نظامها الداخلي الخاص وسجلت كجمعية عادية حسب نظام الجمعيات الخيرية والهيئات الاجتماعية عام 1974 في عمان ولها ثلاثة فروع في إربد والكرك والزرقاء وتجري انتخابات الهيئة الإدارية مرة كل سنتين، وقد بلغ عدد الكتب التي أصدرها أعضاء الرابطة ما يزيد عن ستة آلاف عنوان، فيما بلغ عدد الكتب التي أصدرتها الرابطة 167 كتابا إضافة إلى 23 عددا من مجلة أوراق الأدبية، ويرأس الرابطة منذ دورتين الأكاديمية د. أحمد ماضي، وتناضل الهيئات الإدارية المتلاحقة من أجل حصول بعض الادباء الأردنيين على تأمين صحي وعمل وأن يكون لها مقر دائم إضافة إلى منح أعضائها امتيازات خاصة كتلك التي يحصل عليها الكتاب السوريون مثلا ,إضافة إلى إقرار نظام للتفرغ الإبداعي وغيرها من المطالب التي تقابل عادة بالوعود من قبل الدولة أو بالحلول الجزئية أو الآنية، ولكن المشكلة الأساسية التي لم يركز عليها المشايخ كثيرا في أنه تسرب للرابطة العديد من الأسماء التي لا تملك رصيدا أدبيا ولا كتابا، وتم قبولها لأسباب سياسية أو علاقاتية من أجل الانتخابات، وهذ الورقة الضاغطة كثيرا ما تكون المفصل الضعيف في مسيرتها.

شاهد ملف

مجانين قريتي!

خيري منصور *

■ لكل قرية مجنونها، فإن لم تجده تبتكره، لأنه الزاد اليومي لضجرها، وهو على الأغلب مسالم ومتسول حتى لو كان من بيت ميسور، لأن أسماله وتجواله الدائم في الأزقة يفرضان عليه نمطا من سلوك الشحاذين، لكن قريتي لم تكن ذات مجنون واحد، فقد أنجبت خلال خمسة عقود خمسة مجانين وكأن القرى تحبل ايضا لكن مدة الحمل تصل الى عشرة أعوام حين يكون المولود مجنونا، وكم أدهشني أحد عجائز القرية عندما قال ذات يوم امام دكان فقير وأشبه بالكوخ يتجمع حوله العاطلون في الأيام المشمسة من شتائهم الطويل، أن المجنون هو المسكون بالجني، ثم أدركت ان اشتقاق هذا الاسم هو أرقى ما يمكن أن ينحت لاسم مفعول، في لغة امتازت بالفعل الماضي الناقص ونائب الفاعل وألف الاثنين، وهذا ليس درسا في فقه النحو، لكنه أحد تجليات تلك الأيام التي كانت لعبة الكلمات المترادفة فيها هي البديل للعبة الكلمات المتقاطعة.

كانوا خمسة، لكن أحدهم كان أقرب الى حكيم زاهد، لا يشرب الماء إلا من جرة يذهب كل شهر الى القدس كي يملأها بالماء، وله اسم غريب لا اعرف من الذي اطلقه عليه، فهو بقليل من التحوير يصبح اسما ألمانيا، وبالفعل حملت شركة المانية شهيرة هذا الاسم لزمن طويل وكنا قد سمعنا به لأول مرة من خياطة في قريتنا حصلت بعد عناء وطول انتظار على ماكينة خياطة «سنغر»، دفعت ثمنها تحويشة العمر! وعلق أحد جيرانها قائلا ان ثمن هذه الماكينة يكفي مهورا لأربع نساء!

كان سنكر صموتا، لا يتكلم إلا إذا استفز حتى النهاية، وعندما سئل ذات ظهيرة أمام الدكان وتحت سماء مشمسة يرشح الضجر القروي منها عن سبب صمته، قال، ان الأسود لا تزأر إذا استفزها الاطفال في حدائق الحيوان لكن القردة تثب وتصيح وتضرب القضبان إذا أخرج لها طفل فضولي لسانه.

لا أعرف من اين استقى سنكر حكمته تلك، لكن سواها من الحكم كان واضحا انه تعلمها من العزلة فهي تتيح للانسان ان يرى البشر متلبسين بأوضاع وحالات تثير السخرية، لكنهم لا يرون أنفسهم وهم مستغرقون في أداء أدوارهم اليومية، ولم يخطر ببالي في تلك الأيام ان البذرة الأولى لاحدى مسرحيات هارولد بنتر ستمكث في ذاكرتي بفضل مجنون قريتنا، أو أحد مجانينها.

وبقدر ما كان أهل القرية يسخرون منه كان هو ايضا يسخر منهم، لكن بطريقته الصامتة وابتسامته الماكرة التي توحي لمن يراها بأنه اقترف خطأ ما، وقد يتحسس ثيابه ورأسه ليتأكد من عدم وجود خطأ ما يثير السخرية، ومثلما ذكرني بنتر بمجنون قريتنا ذكرني برغسون في كتابه الضحك بما كان يتعمده سنكر من أفعال امام المارة، كأن يسرع في مشية متماسكة منتظمة الخطوات ثم يسقط على الأرض كما لو انه تعثر بقشرة موز، كلاهما برغسون وسنكر عرفا جذر الضحك الأول من خلال ادراك المباغتة وقطع المتواليات الرتيبة، لكن ضحك برغسون كما قال: به مرارة يمكن تذوقها على الفور بينما ضحك سنكر يخلو من هذه المرارة وربما كان مالحا لأنه كما كان يقول يتغرغر بالماء الممزوج بالملح يوميا عندما يصحو من النوم ان صحا وعندما ينام إذا نام.

خلاف هذا الحكيم الصامت كان زكير بدينا ويفخر بأنه يعرف اسماء النساء جميعا في القرية وتلك معرفة ليست ميسورة للعقلاء، لأن اسم الانثى يضاف الى عوراتها، وتختفي أسماء النساء أو تحتجب وراء اسم الابن البكر، وكنا أحيانا ندفع له رغيفا أو قرشا مقابل تزويدنا باسم والدة أحد زملائنا في المدرسة للنكاية أو الشغب البريء!

كان زكير ينام في غرفة معتمة تماما ويقتسم الليل مع كائنات يحزرها من أصواتها، وحين قدمت له جارته العجوز قنديلا كسره على الفور وقال انها تريد به شرا لأن الأفاعي ستهتدي إليه لو أضاء الغرفة الأشبه بقبر شاسع!

وقد يكون زكير أول كائن مصاب بفوبيا الصفير، لأنه يفقد ما تبقى له من رشد وهو قليل جدا إذا سمع صوت صفارة أو إذا صفر له أحد الاطفال وحين رويت هذه الواقعة لأحد الاصدقاء بعد ثلاثين عاما قال لي ربما بسبب صفارات الانذار التي تسبق الغارات، فضحكت حتى دمعت عيناي لأن هذا الصديق لا يعرف ان قرانا كانت بلا كهرباء وأن أول دروس الاعراب والتاريخ والطبيعة قرأناها في ضوء قناديل شحيحة الاضاءة وقابلة للانكسار المفاجىء وأحيانا الانفجار!

ولأن زكير لم يكن مجنون القرية الوحيد فالناس لم يتذكروا غيابه شهرين، لأنهم وجدوا في غيابه البدائل التي تبدد ضجرهم وحين عاد الى القرية كان نحيلا وشاحبا وقد فقد احدى عينيه.

وسمعت بعد ذلك بأعوام أن كمينا اسرائيليا التقطه عند الحدود، وقريتي لا تبعد كثيرا عما سمي خط الهدنة، ولم يكن يعرف بالضبط ما الذي جرى له، لكن أحدهم أخبرني بأن عينه قلعت وسحب الكثير من دمه وهو مخدر، وحين عدت الى قريتي بعد ثلاثين عاما من الغياب القسري كان زكير قد مات ونسيه الناس ودفن معه ذلك السر.

هناك مجانين محترفون ومجانين هواة، هذا على الأقل ما أحسست به وأنا أراقب في صباي المجانين الخمسة فمنهم من يعتني بمظهره ويحلق ذقنه ويتبادل التحيات مع العابرين، لكن له حدودا على الآخرين ان يحزروها بحصافة كي لا تنفجر النوبة في وجوههم.

ان شبه المجنون هذا أصعب ألف مرة في التعامل من المجنون المحترف، لأن ردود أفعاله متفاوتة ولا يمكن التكهن بها.

اثنان من أذكى تلاميذ القرية ومدرستها الابتدائية اصابتهما جرثومة الجنون ويبدو ان المناعة كانت محدودة فصدق بمرور الوقت انهما قد اصيبا بالفعل بالجنون، أحدهما دلني لأول مرة على الكاتب سومرست موم، وكان قد حصل على مجموعة قصصية مترجمة له بالصدفة في مكان ما، ولأنها القصص الوحيدة التي قرأها فقد حفظها عن ظهر قلب واقتطع من الغلاف صورة المؤلف، وعلقها بمسمار على جدار البيت.

تلك الحادثة العادية بكل المقاييس تحولت الى كارثة في قريتنا إذ سرعان ما أصبح التلاميذ ينادون زميلهم باسم «موم» وكانت تصدر عنه اسئلة ومواقف تبدو مستهجنة بمقاييس أهل القرية، كأن يتحدث بحرية عن الجنس والدين، ويتخطى على ما اصطلح عليه باعتباره الخطوط الحمراء المحظورة.

عرفت بعد ذلك بأعوام أن احد أشد الناس أمية وزهوا بالجهل وادعاء للحكمة همس بأذن والد هذا التلميذ محذرا إياه من رعونة الولد، ومجازفاته فقد لا تسلم شقيقتاه من اعتداء ما عليهما ذات نوبة سعار، ولسوء حظ الأب وابنه صدق الأب ما سمع واعتبره موعظة حسنة فقرر عزل الولد عن الفتاتين، وحذرهما من الشقيق الذي يشكل خطرا سافرا على عذريتهما!

وانتهى الأمر الى ان تألم الفتى مع كل ما يقال عنه في القرية لكن حالته العصبية وتوتره الذي اندفع الى اقصاه دفعا الأب الساذج الى ادخاله مستشفى الأمراض العقلية وقد حاول الهرب عدة مرات، واتضح ان الخطط التي يرسمها لتنفيذ الهرب لا علاقة لها بالمجانين.

وعرفت انه بعد ذلك أخرج من المستشفى بسبب تماثله للشفاء، لكنه ما أن وصل الى البيت حتى طعن صدره بالسكين ومات!

المجنون الخامس عاش بلا ليلى، ويأخذه الحنين الغامض ليلا الى ملكوت آخر بكر، عانى من فصام شديد ومن ملاحقة أشباح مجهولة النسب، وكان يقول دائما انهم يلاحقونه، وباختصار كان يفرط في استخدام واو الجماعة المبهمة، تلك التي كتب عنها سارتر مقالة فريدة، وانتهى منها الى القول بأن المجانين أو أشباههم هم ضحايا واو الجماعة الغامضة والمقصود بواو الجماعة هنا الافعال المنسوبة لأكثر من شخصين.

في المرات القليلة التي اصغيت فيها الى هذا العاشق الذي يناجي كائنات ليست من هذا العالم، أدركت أن ما به هو مس من الشعر لا من الجنون.؟

كان يتحدث عن علاقة خاصة وسرية بالغيوم وبالحجارة وأحيانا يزعم بأنه تزوج من جنية تصعد من أعماق بئر مهجورة في طرف القرية.

من سوء حظه أن أخته لم تكن إديث سيتويل الشاعرة، كي تقول ان أخاها أحب شجرة وظل يرسمها حتى تحول الى عنقود!

ان هؤلاء ليسوا مجانين بالمعنى العلمي الدقيق بل ضحايا الضجر والجهل والعتمة وقد عقدت هذه الأطراف الغاشمة حلفا قروياً ضد صبيان أقل امتثالا وأكثر نزوعا للمساءلة والتساؤل.

لم يكن عدد سكان قريتي عندما شهدت هؤلاء الخمسة أكثر من أربعة آلاف مما يثير الدهشة حول فائض الجنون تبعا للمحاولات الديمقراطية التقليدية.

وما يضاعف من اندهاشي بعد مرور عقود هو أن هؤلاء الأبطال لا يزالون يبحثون عن مؤلف كما في مسرحية «بيراندیلو» الشهيرة!

فقد كتبنا ما يكفي عن العقلاء أو من يزعمون بأنهم كذلك ونسينا الجنون وهو البراري الأشد اخضرارا في ذلك الفضاء الداجن، من يدري لعلهم وحدهم العقلاء، والحكمة المنسوبة لغيرهم هي من صلبهم!

* شاعر وكاتب من الاردن

وشاح أفروديت

عزيز الحاكم*

«العشق لبلابة مشوكة»
ـ ابن عربي

لا تبرحي قلبي باكرا
دعيك
في مبتدى النشوة ناصعة
كما لو أنك «فاس» الربيع
أو كوب الترياق البديع
أو فوطة بابلية
تنشف أصائلها
من خرائط الصيف الذاوية ...
كوني بشراي ومبهاي
وما أرتضيه من مجد لمجانين «البطحاء»
وبلابل «الرصيف»
ويتيمات «العيون»
كوني جناني
في هذا السبيل المطرز باللثغات
كوني مني
بعض ما يكون للمهاة
من كواعب خرد ...
ها إن البدر يصفعني
ويطول مقامي
بديار

لا أعرف لفاتيحها لونا
أنا الساكن في «ترجمان الأشواق»
كي لا
يقرب مملكتي سواك
أو تسرق مني اللحظة الساحلية
قذفاتي الهيلاء ..
يا جارة أحلامي
سأكون لك
في انطفاء السعد
خيطا أبيض
يضيء المتاهات
ويخاتل الآمال الجريحة
سأكون العتبة
مني
من قرفي
ينبجس الضحك العتيد
ويكون لهيفاء «الأطلس»
سحر القبلة الأولى
وتساوق العادة
في مسارب العادة
ولأرملة الإمبراطور المعتوه
نحيب مشبوه
ولذة كانيبالية ...

يا أنا
ما الذي تفعله بك الآن
«ميدوزة» الأرياف
وكوثرة الأصياف
و«أنيطة» الزلازل الجنوبية؟
حين أجرع دمعها البارد
في مهوى الحيرة
أستبيح السماحة
في حضنها المضياف
ولا أخاف.
ما بك
إذ أسألني عنك
كالناعس في معترك الريح
متدثرا
في تنورة شادية غجرية مجرية
تدعى «مارتا سيبيستيان»
أو «إلكترا» الأثينية
أو شرطية جرمانية ملحام
تناخبني
وتزاحمني في المطعم التركي
ولا تشتهي من لساني
سوى ندف
من قصائد هربانة
تهشم بحتها
وترتق شالها الوردي
بضياء الفجر
وتريح ظهرها العريان
من عيون البلقاني الوضيع ...
ها أنا يا أنا
وقد عللتني المباسم
أهش الفراشات الخبلاء
وأقيم للشعر
مساكن عائمة
وأعض على كواشح الدهر
بقواضم من حرير
لأرشف من لعاب الفوز المغناج
وصايا «إبيقور»
وأخطف من «شادي»** ثوب الزفاف
وأعين نفسي
على كبح الصدى
قبل أن تهفو الأميرة الغضبى
من سأمي
ويضيع مني وشاح أفروديث ...

* شاعر من المغرب
**المغنية الكوبية السمراء